Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العصر الذى نعيش فيه – وهذه ظاهرة لانجدها فى علم البلاغة فقط ، بل نجدها كذلك فى كثير من الدراسات التى تجمدت عند وضع معين مثل الدراسات النحوية والفقهية القديمة – وهذا يشير بدوره إلى عيب خطير فى دارسى البلاغة والباحثين فيها ، إذ لم يتوقف أحدهم – إلا الأقلون – ليتساءل عن قيمة هذه الدراسة فى ذاتها ؟ أو عن قيمتها فى ارتباطها بالواقع العلمى فى الدراسات الأدبية أو الإنتاج الأدبى الدائم التطور والاستمرار؟

«فلم تعد بلاغتنا تساير التطور الجديد فى أساليبنا التعبيرية ، حتى كادت تصبح تاريخا فقهيا للغة فى بعض العصور الأخرى ، بدلا من أن تبقى علما متطورا يخدم اللغة ويعكس أحوالها ويسجل مراحل نموها . والواقع أن بلاغة أية لغة ينبغى أن تبقى علما مطاطا قابلا للنمو معها ، وإلا بعدت الشقة بينهما ، وانحط شأن البلاغة [١] » .

وهذا ما حدث للبلاغة العربية إذ استمرت الدراسات الأدبية واللغوية تتطور وبقيت البلاغة تتفرج – بفعل ما سنبينه من عيوب فيها – فبعدت الشقة بينها وبين غايتها ، وراحت تمضغ نفسها فى تلك القواعد الذهنية بشواهدها الصناعية .

* * *

هذا المقال العلمى محاولة نتلمس فيها تاريخ الدراسات البلاغية بصورة مجملة –ثم أهداف علوم البلاغة العربية – بعد أن تجمدت – كما قررها البلاغيون القدماء والمحدثون أيضا – ثم نحاول معرفة العيوب المنهجية التى بعدت بدراسة البلاغة عن أن تؤدى دورها الحقيقى فى تفسير الأدب وتذوقه ، ومنها وفيها يكمن سر الجفاف والعقم الذى منيت به هذه الدراسة ، وبذلك قصرت عن تأدية دورها فى تفسير النصوص وتذوقها ، وتمثل عناصر الجمال أو العيوب فيها – وأخيرا أتقدم بما أعتقد أنه الحق فى تقويم هذه التركة البلاغية ، وذلك بمقابلة أهم مباحثها بمناهج دراساتنا الحالية للغة والأدب ، لنضع هذه المباحث فى مكانها الذى يجب أن تكون فيه ، لتخرج عن جمودها التقليدى من

(١) قضايا الشعر المعاصر ص ٢٤٠ .